شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني والأربعون

غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ

اللقاء الخامس والأربعون

الحديث الثاني والأربعون:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آَدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آَدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آَدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِكُ بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحَيْحٌ.

ترجمة الراوي:

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه- سبق الحديث عنه في اللقاءات الماضية –رضي الله عنه– وعن جميع صحابة رسول الله –ﷺ–.

منزلة الحديث:

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: هذا الحديث بشارة عظيمة، وحِلْمٌ وكرم عظيم، وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان، والرأفة والرحمة والامتنان.

قال الجرداني رحمه الله: إن هذا الحديث أرجى حديث في السنة، وفيه دلالةٌ على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده، لكن لا يجوز لأحد – كما قال بعضهم – أن يغتر به وينهمك في المعاصي، وإنما القصد منه بيان كثرة مغفرته تعالى؛ لئلا ييئس المذنبون منها بكثرة الخطايا [الجواهر اللؤلؤية شرح الأربعين النووية].

الحديث عظيم الشأن؛ لأنه دل على عِظَم شأن التوحيد، وعظم الأجر الذي أعده الله للموحدين [قواعد وفوائد من الأربعين النووية].

شرح الحديث:

((يَا ابْنَ آدَمَ)) الخطاب لجميع بني آدم، ((إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ)) أي: ما دمْتَ تدْعونِي وتَرْجو رَحْمتي، ولمْ تَقْنَطْ، ((غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ)) أي: محَوتُ ذنبَكَ أيُّها العبْدُ الدَّاعي الرَّاجي لربِّه، "عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ" مِنَ الذُّنوبِ والمعاصِي.

((وَلا أُبَالِيْ))؛ أي: ولا أهتَمُّ بهذه الذُّنوبِ والمعاصِي وإنْ كانَت منَ الكبائرِ وفي عدَمِ مُبالاتِه معنى قولِه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ} [الأنبياء: 23]

ولله در القائل:

إذا كنتَ الكريمَ فلا أبالي ولو بلغَتْ ذُنوبي القَطْر عدَّا

فكم مِن مُذْنبٍ في الناس مثلي بعفوك مِن لهيب النار عدَّا

((يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ))؛ أي: وصلت ((ذُنُوبُكَ))؛ الَّتي ارتكبتَها وفعَلتَها ((عَنَانَ السَّمَاءِ)) السَّحابَ، أو بمَعنى صَفائِحِ السَّماءِ وما اعترَض مِن أقطارِها، وقيل: وصلَتِ الذُّنوبُ إلى السَّماءِ الَّتي تَراها.

((ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ))؛ أي: طلبت مني مغفرتها بصدقٍ وإخلاص وافتقار، ((غَفَرْتُ لَكَ)) إياها غير مبالٍ بكثرتها؛ وذلك لأن كرم الله تعالى وفضله ورحمته لا تتناهى؛ فهي أكثر وأوسع مما ذكر.

((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا))؛ أي: بمِلْءِ الأرضِ، ذُنوبًا ومَعاصِيَ

والمعنى: أنَّه لو كَثُرَت ذُنوبُك كثرةً تَملَأُ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ بحيث تَبلُغُ أقطارَها وتَعُمَّ نَواحِيَها، ثمَّ استَغفَرتَني، غَفَرتُ لك جميعَها غيرَ مُبالٍ بكَثرتِها؛ فإنَّ استِدْعاءَ الاستغفارِ للمغفرةِ يَستوي فيه القليلُ والكثيرُ، والجليلُ والحقيرُ.

((ثُمَّ لقِيْتَنِيْ لاَ تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا))؛ أي: بعدَ الموتِ مُوحِّدًا "لا تُشرِكُ بي شيئًا"، لا في الرُّبوبيَّةِ، ولا في الألوهيَّةِ، ولا في الأسماءِ والصِّفاتِ، مصدقًا بما جاءت به رسلي، ((لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً))، لأنَّني واسِعُ المغفرةِ، وأغفِرُ كلَّ شيءٍ دونَ الشِّركِ؛ كما قال سبْحانَه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48، 97]، وهذا يدل على فضيلة الإخلاص، وأنه سبب لمغفرة الذنوب.

بين يدينا حديث يأسر القلب، ويأخذ بمجامع النفس، يستمطر الدمع، ويهيّج في الوجدان مشاعر التوبة والرجاء، لتتلاشى معه أسباب اليأس والقنوط، إنه هتاف سماويٌّ لو تردد في جنباتنا لأفاض عليها شوقاً وحنيناً إلى خير من مُدّت إليه الأيادي، ولهجت بذكره الألسنة، فيالها من موعظة، ويالها من تذكرة.

لقد جاء الحديث، ليزفّ إلى الناس البشرى، فرحمة الله واسعة، وفضله عظيم، لا يقف عند حدّ، ولا يحصيه عدّ، فغدا هذا الحديث إبهاجاً للتائبين، وأملاً للمذنبين، وفرصة لمن أسرف على نفسه بالمعصية، أو فرّط فيما مضى من حياته، ولعلنا ندرك بذلك سر المكانة التي حازها هذا الحديث دون غيره، حتى إن كثيرا من العلماء ليرون أنه أرجى حديث في السنة كلها.

وتتجلّى معالم الحديث في بيانه لأسباب حصول المغفرة، ويأتي الدعاء في مقدّمة تلك الأسباب، والدعاء قربة عظيمة، وصلة مباشرة بين العبد وربّه، وهي سلاح المؤمن الذي يتسلّح به في الشدائد والكربات.

✉ دليل عظيم فضل الدعاء مع الرجاء، وهو في قوله: " إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ ".

✉ففيه أنه لا بد من الجمع بين الدعاء ورجاء الإجابة، فلو دعا دون رجاء لم يستجب له؛ لأن ذلك قنوط من رحمة الله، والقنوط من رحمة الله ضلال؛ كما قال تعالى: (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر: 56].

✉وإن رجا دون دعاء لم ينفعه هذا الرجاء؛ لأنه لم يفعل السبب الذي يحصل به المطلوب، والله قد ربط الأمور بأسباب لا بد من فعلها، ومن تركها كان عاجزًا مهملاً؛ كما روي عن النبي -ﷺ- أنه قال: " والعاجِزُ مَن أتبَع نفسَه هَواها وتمنَّى على اللهِ الأمانِيَّ "رواه الترمذي.

وقد حثنا الله تعالى على الدعاء في عدّة مواضع من كتابه، فقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: 60]، وقال سبحانه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة : 186] ، بل جاء عن النبي -ﷺ- قوله : " مَن لم يسألِ اللهَ

يغضبْ علَيهِ" رواه الترمذي ، وصدق الشاعر إذ قال: الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيّ آدم حين يُسأل يغضب.

بيد أن لهذه العبادة شروطاً ينبغي استكمالها، ليكون الدعاء جديراً بالإجابة، وأدعى للقبول، فمن ذلك: حسن الظن بالله، والرجاء والأمل بالمغفرة، كما بيّن ذلك النبي –ﷺ– في قوله: "ادعوا اللهَ وأنتم موقِنون بالإجابةِ واعلموا أنَّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ" رواه الترمذي، ولابد أن يكون لهذا الرجاء رصيداً من العمل الصالح، لا أن يكون مجرد أمنية وأحلاماً زائفة.

وإضافة إلى ذلك: فإن على المسلم حال دعائه أن يعزم في المسألة، ويجزم في الطلب، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله –ﷺ– قال: "لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شِئت ليعزِم المسألةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ" رواه البخاري.

وللداعي إحدى ثلاث: قال –ﷺ–: " ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثَ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإما أن يَصرِف عنه من السُّوءِ مثلَها". رواه أحمد.

ثم ينتقل بنا المطاف إلى الحديث عن الاستغفار، وهو طلب الستر والتجاوز عن الذنب، في قوله تبارك وتعالى: " غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ " مغفرة الله –سبحانه– تتضمن محو السيئة، وتتضمن السَتْر على العبد، فيه بيان سعة مغفرة الله، وأنه مهما كثرت ذنوب العبد فإن الله يغفرها له، بل يمحوها ولو كبر حجمها وبلغ ارتفاعها العنان، وهو السحاب، فإن الله يغفرها لأنه سبحانه لا يتعاظمه شيء، ما دام العبد قد أتى سبب المغفرة، لأنه خلق عباده وعلم أن من شأنهم أن يذنبوا ويستغفروا؛ وقد جاء في الحديث الصحيح: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لهمْ"(رواه مسلم).

بل أعظم من ذلك أنه فتح باب الرجاء للشاردين عنه؛ فقد قال الغفور الرحيم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

فإن للاستغفار مزيد فضل على غيره من العبادات، إذ لا تقتصر بركته على محو الخطايا وتكفير السيئات، بل يمتدّ خيره إلى السماء فتنزل أمطارها، وإلى الأرض فتنبت زروعها وثمارها، ويحصل به النماء في الذريّة، والقوّة في العُدّة، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا

رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) [نوح: 10 – 12].

فمن هنا: لم يكن غريبا أن نرى الأمر بالاستغفار في كثير من الآيات، والأنبياء وأهل الفضل يطلبون المغفرة من الله؛ قال تعالى عن نوح: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: 28]، وقال الخليل: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 82]، وقال موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ [القصص: 16]، بل كان نبينا –ﷺ– يُعدّ له في المجلس الواحد مائة استغفار، قال رسول الله –ﷺ–: ((يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه؛ فإني أتوبُ في اليوم مائة مرةٍ))؛ رواه مسلم.، قال–ﷺ–: " واللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليَومِ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً "صحيح البخاري.

فهذا أمرُ رسول الله وحاله، من ملازمة الذكر والتوبة والاستغفار عشرات المرات في اليوم، وهو الذي قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، فكيف بحال مُريد المغفرة والهداية في سلوكه وسبيله إلى الله والدار الآخرة؟!

من أعلام الهداية على الطريق للسائرين، والمشتاقين إلى الجنة ونعيمها وأحوالهم: مداومتُهم على التوبة الصادقة، وكثرة الاستغفار؛ فالذنوب والمعاصي هي أسرع طريقٍ لإهلاك العباد والحرث والنسل، والذنوب قاطعة للطريق بين العبد المؤمن وبين الوصول إلى مراده ومُنَاه، والإنسان في هذه الدنيا كثيرُ الغفلة والخطأ، والشيطان والنَّفْس الأمَّارة بالسوء والهوى والغفلة كلها قواطعُ سبيل المرء عن الوصول إلى الجنة، فكم أهلكت أممًا صريعة القبور، وكم أورثت ناسًا غوائلَ الفتن والشرور، وما حالُ قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وهامان وأمثالِهم منا ببعيدٍ.

كما أن مقارفةَ الذنوب من أشدِّ ما يحجب السالكَ عن الله تعالى ورحمته، وتوفيقه وهدايته؛ لأنها تستوجب له غضب الله وعقوبته له؛ ولهذا فإن أعظم طريق للتخلص منها دائمًا يكون بالاستعانة بتقوى الله تعالى في الظاهر والباطن، وملازمة التوبة في كل حين، وقد أمَرنا الله ورسوله –ﷺ– بالتوبة والإنابة والاستغفار دائمًا؛ قال ابن القيم: "ومَنزِل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقها العبدُ السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزلٍ آخَرَ ارتحل به واستصحبه معه، ونزل به؛ فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وقد قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 31]".

📃ولا يكون الاستغفار صادقا إلا حين يصدر من قلب مؤمن مستحضر لجلال الرب وعظمته، نادم على ما كان منه من تفريط وتقصير، عازم على التوبة والإنابة، وإلا فهي توبة جوفاء، لا تنفع صاحبها.

📂والتوبة لها شروط:

❶- الإخلاص لله تعالى: يجب أن تكون النيّة لله -تعالى- وحده حُباً فيه وطمعاً في نيل رضاه وثوابه.

❷- الإقلاع عن الذنب: يترك العبد الذنب الذي ارتكبه ويبتعد عن كل أمر يُقرّبه منه.

❸-الندم على ارتكاب الذنب: يستشعر العبد عظمة الله -تعالى- حال ارتكابه ذنباً معيّناً، فيندم على ما تقدّم منه من تقصير واعتداءٍ على حقوق الله -سبحانه وتعالى-، راجياً من الله -تعالى- رحمته ومغفرته.

❹- العزم الجازم على هُجران الذنب وعدم العودة: يجب أن يرافق التوبة من الذنب؛ عدم العودة إليه في المستقبل، وإصلاح ما بدر من العبد من تقصير؛ بالإكثار من الطاعات، والمحافظة على ترك المعاصي والمنكرات حتّى الموت.

❺-إرجاع الحقوق إلى أصحابها: يجب إعادة كل حقّ إلى صاحبه إذا كان الذنب متعلّقاً بحقّ من حقوق العباد.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: 8].

❍التوبة النصوح: الندمُ بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والاطمئنان على ألا يعود.

✉فمن يكثر من الذنوب ويترك التوبة اعتمادًا على سعة مغفرة الله وعفوه فإنه خاسر؛ لأنه أمن مكر الله، والله -تعالى- يقول: (أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف: 99].

✉ومكر الله هو استدراجه للعاصي ثم أخذه بالعقوبة على غرة وغفلة، قال الحسن البصري -رحمه الله-: "المؤمن يعمل بالطاعات، وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن".

✉وللاستغفار ساعات يرجى قبوله فيها أكثر من غيرها؛ كأدبار الصلوات ووقت الأسحار، قال تعالى: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) [آل عمران: 17]، وقال: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات: 18].

✉وينبغي أن يقرن الاستغفار بالتوبة، فيقول: أستغفر الله وأتوب إليه؛ كما في هذا الحديث، وكما في قوله تعالى: (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ) [هود: 90].

✉وذلك ليجمع بين الاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب بالقلب والجوارح، وهذا معناه عدم الإصرار على الذنب، فقال: (وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [النساء: 110].

🗐قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرة استغفاره التوبة إلى الله فهو كاذب، ومن استغفر بلسانه وقلبه عاكف على المعاصي فهو كالمستهزئ بربه.

✉وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على الله، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة؛ كما ثبت في الصحيح عن شداد بن أوس عن النبي -ﷺ- أنه قال: "سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ"صحيح البخاري.

🖙من أقوال السلف:

قال بعض العلماء: طوبى لمن وجَد في صحيفته استغفارًا كثيرًا.

وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.

🗐قال علي- رضي الله عنه-: ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

🗐 وقال -رضي الله عنه-: ما ألهم الله عبده الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

🗐 وقال -رضي الله عنه-: عجبت لمن يهلك والنجاة معه قيل وماهي؟ قال: الاستغفار.

📃وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: أخبر –سبحانه– أنَّه لا يُعذِّبُ مُستغفرًا؛ لأنَّ الاستغفارَ يمحو الذَّنب الذي هو سببُ العذابِ، فيندفعُ العَذابُ.

📧 ومن أعظم أسباب المغفرة وأجلّها تحقيق جوانب التوحيد ، والإتيان به على أكمل وجه ، وقد أعلمنا ربنا بذلك في كتابه حينما قال :(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [الأنعام : 82] ، فامتدح من كان إيمانه نقيّا خالصا من عوالق الشرك ، وبشّرهم بالسلامة من دخول النار ، ولا عجب في ذلك ، فإن الذنوب كلها تتصاغر أمام عظمة التوحيد ، ومن ثمّ تكفّل الله تعالى لمن لم يشرك به شيئاً أن لا يعذّبه ، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : "وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا" رواه البخاري .

✉فضل التوحيد، وبيان ما يكفر من الذنوب، وأن من لقي الله به ومات عليه فإنه ترجى له المغفرة.

✉وفيه: التحذير من الشرك؛ لأنه لا يغفر لصاحبه ولو أتعب نفسه بالعمل ولسانه بالاستغفار، ولو أنفق ما في الدنيا فلن يقبل منه، ولن يغفر له ما دام على الشرك.

📂ولكن ما هو الشرك الذي هذا خطره؟

⇦إنه عبادة غير الله مع الله؛ كعبادة الأصنام والقبور والاستعانة بالأموات، ودعائهم من دون الله، وطلب المدد منهم، والتوسل بهم، والظن بأنهم يقربون من الله زلفى، وكذا السحر فإنه مخرج من الملة ولا يغفره الله –سبحانه–.

📠فضائل التوحيد:

أولًا: سبب لمغفرة الذنوب.

ثانيًا: سبب للنجاة من الشدائد؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65].

ثالثًا: سبب لدخول الجنة؛ قال –ﷺ–: (مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ)؛ رواه مسلم.

رابعًا: لأهل التوحيد الأمن والاهتداء؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، لم يلبسوا: لم يخلطوا؛ إيمانهم: توحيدهم؛ بظلم: المراد به الشرك؛ كما فسره النبي –ﷺ– بذلك.

نذكر بعض أسباب المغفرة وفوائد الاستغفار:

1- التوحيد وترك الشرك من أعظم أسباب المغفرة: قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ *وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة:9-10].

وحديث البطاقة عند الترمذي وأحمد صريح في ذلك، حيث تطيش سجلات الذنوب وترجح كلمة الإخلاص.

2- الاستغفار: قال تعالى: {وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة:199]

3- التقوى: قال تعالى: {يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال:29].

4- الدعاء مع رجاء الإجابة: قال تعالى في الحديث القدسي: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. ويدخل في ذلك دعاء الولد لوالده، كما في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث..» ذكر منها: «أو ولد صالح يدعو له».

5- اتباع الرسول -ﷺ-: قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:31].

6- الإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو مع القدرة: قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:133-134]

7- الصبر مع العمل الصالح: قال تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [هود:11]

8- الوضوء مع الإسباغ: قال -ﷺ-: «من توضَّأ مِثلَ وُضوئي هذا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه» رواه ابن ماجه. والأحاديث في تكفير الخطايا بسبب الوضوء كثيرة.

9- الذكر بعد الوضوء: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ). رواه مسلم.

زاد الترمذي :(اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ) صححه الألباني

10- صلاة ركعتين بعد الوضوء: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-: «ما من أحدٍ يتوضَّأُ فيحسنُ الوضوءَ ويُصلِّي ركعتَينِ يُقبِلُ بقلبِه ووجهِه عليهما إلا وجبتْ له الجنَّةُ» (مسلم).

11- إجابة المؤذن، وترديد الأذان: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-:«مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، رَضِيتُ باللَّهِ رَبًّا وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا، وبالإسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ له ذَنْبُهُ» (مسلم).

11- الصلوات الخمس، وصلاة الجماعة: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-: «أرَأَيْتُمْ لو أنَّ نَهَرًا ببابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَومٍ خَمْسًا، ما تَقُولُ ذلكَ يُبْقِي مِن دَرَنِهِ؟ قالوا: لا يُبْقِي مِن دَرَنِهِ شيئًا، قالَ: فَذلكَ مِثْلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا» صحيح البخاري.

12- التأمين خلف الإمام: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-: «إذَا أمَّنَ الإمَامُ، فأمِّنُوا، فإنَّه مَن وافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ» مسلم.

وللاستغفار فوائد:

أولًا: تكفير السيئات ورفع الدرجات؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]، وفي الحديث القدسي: (قال الله: من يستغفرني فأغفر له..)؛ متفق عليه، وتقدم قوله تعالى في الحديث القدسي: (فاستغفروني أغفر لكم)؛ رواه مسلم.

ثانيًا: سبب لسَعة الرزق والإمداد بالمال والبنين؛ قال تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10، 12].

فإن الاستغفار سبب للخصب، جالب للبركة، مكثر للنسل، مبعد للعذاب، مفرّج للهموم، منفّس للكروب.

ثالثًا: سبب لحصول القوة في البدن؛ قال هود لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52].

رابعًا: سبب لدفع المصائب ورفع البلايا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33].

خامسًا: سبب لبياض القلب؛ قال -ﷺ-: (إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكتةٌ سوداءُ في قلبِه، فإن تاب، ونزع، واستغفر صقَل قلبه)؛ رواه أحمد.

نختم اللقاء بقصة رجل أسرف على نفسه: عن أبي هريرة، عن النبي -ﷺ- قال: ((أسرف رجلٌ على نفسه، فلما حضره الموتُ أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم

اذرُوني في الريح في البحر، فوالله لئن قدَر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذَّبه به أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدِّي ما أخذتِ، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملكَ على ما صنعتَ؟ فقال: خشيتُك يا رب – أو قال: مخافتك – فغفر له بذلك))؛ رواه الشيخان واللفظ لمسلم

ولا عجب إذا استقام حالُه بالتوبة والاستغفار أن يفرَحَ اللهُ به، ويُقبِل عليه، ويحبه ويُبصِّره ويهديه.

قال –ﷺ–: ((للَّهُ أفرحُ بتوبة عبده مِن أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه في أرضٍ فلاةٍ))؛ متفقٌ عليه.

✉فأي مغفرة أوسع من هذه المغفرة؟ وأي كرم أعظم من هذا الكرم؟ الله الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، الذي بيده كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، يخبر –سبحانه وتعالى–عن أبواب ثلاثة من أبواب المغفرة من أصاب واحدا منها غفر الله –عز وجل– له، ولم يبال الله بعظم الجرم الذي ولا جلالة الذنب الذي اقترفه!... فمن دعا الله –سبحانه– ورجاه غفر الله له، ولا يبالي، ومن استغفر الله غفر الله له، ولا يبالي، ومن وحد الله غفر الله له، ولا يبالي.

✉"سيري إلى الله ولو أثقلتك الذنوب وأرهقتك الأوزار وأغرقتك الآثام، ولو أن تسيري إليه حبوًا، فعفو الله أكبر من معاصيك، ورحمته أوسع من سيئاتك، ومغفرته أعظم من غدراتك، وكرمه أجل من عثراتك، وصفحه أكثر من هفواتك... فقط أقبلي على خالقك الكريم تائبة منيبة نادمة ".

🙏فمهما كثرت الذنوب، وعظمت الخطيئات، فلن نعدم مغفرة رب السماوات والأرض. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

المراجع:

❶ شرح حديث: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني عبد العال سعد الشليّه.

❷ إنك ما دعوتني ورجوتني: اسم الكاتب: إسلام ويب.

❸ فوائد من حديث: سعة مغفرة الله عز وجل: الشيخ محمد بن مسعود العميري الهذلي.

❹أسباب المغفرة: طريق الإسلام.